اشكاله؟ وهل عاد ذلك بنتائج ايجابية للفلسطينيين بمعيار حساب الكلفة والمردود وبمعيار تحقيق الاهداف المرحلية والنهائية المعلنة؟ وهل جاءت اشكال معينة منه لتستثمر المكاسب التي اشترتها دماء آلاف الشهداء من فدائيين ومدنيين، أم لتضيّع تلك المكاسب وتبدد التضحية المبذولة؟

إن الاسلوب الفلسطيني، حين توجه ضد الاهداف المدنية خارج اسرائيل، كالطائرات ومكاتب الطيران في اوروبا، نجح رغم اعتراض الرايين العام والرسمي في الغرب في عرض القضية الفلسطينية دولياً وتذكير العالم باستمرار مأساة الشعب الفلسطيني. كما أدى العمل العسكري في داخل الارض المحتلة، وحتى حين استهدف المدنيين الاسرائيليين عشوائياً، إلى تحريك القضية الفلسطينية في وعي الاسرة الدولية. غير ان محدوديات مثل هذا المكسب ظهرت بوضوح عقب عملية ميونيخ العام ١٩٧٢، وعقب العمليات الانتحارية في اسرائيل في فترة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٨. فبدأ الراي العام العالمي يشمئز منه، وكان لذلك الموقف نتيجتان خطيرتان. الأولى، تعرقلت الجهود السياسية ـ الدبلوماسية الفلسطينية، حيث بقيت م.ت.ف. تناضل حتى الآن لتغير صورتها في الغرب، مما استغرق وقتاً واستهلك جهداً كان يمكن بذله في مجالات اخرى. ومن يشك في صحة وصف هذه النتيجة بأنها سيئة ينسى ان النجاح الدبلوماسي يعكس ويجسد التضحيات الفلسطينية في الميدان وانه يقنع قطاعات أجنبية بحجب أو تقليص دعمها لاسرائيل (كان للنشاط الاعلامي ـ الدبلوماسي الفيتنامي أثر كبير في تقييد حرية الحركة الاميركية)؛ ويضاف الى ذلك أن النتيجة الثانية كانت إتاحة المجال لاسرائيل بتوجيه ضربات وحشية للمدنيين الفلسطينيين والعرب بحجة الانتقام، دون أن يلاحظ العالم الخارجي او يكترث كثيراً، فكان ان قتل ٢٠٠ مدني في سوريا ولبنان بعد حادثة ميونيخ العام ١٩٧٢، وسوِّي نصف مخيم النبطية مع الارض العام ١٩٧٤ بعد عمليتي الخالصة وترشيحا، دون احتجاج دولي كالذي واجه العمل الفلسطيني الذي سبق الردود الاسرائيلية.

اما اسلوب خطف الطائرات واحتجاز الرهائن وما شابهها من عمليات ابتزازية، تهدف الى المقايضة، داخل أو خارج اسرائيل، فيلاحظ انها لم تتوجه لتحقيق مكاسب إعلامية أو حتى نفسية، بقدر ما سعت الى تحقيق مكاسب مادية محددة. وتدل التجربة الفلسطينية على نجاح ذلك الاسلوب في مواجهة الدول الغربية الى حد ما، وعلى فشله الذريع مع اسرائيل. فلم تقبل القيادة الاسرائيلية، مطلقاً، باطلاق سراح السجناء الفلسطينيين، بل وأصرّت، دوماً، على مهاجمة الخاطفين واطلاق الرهائن. ولم تشذ اسرائيل عن تلك القاعدة الا حين احتجزت م.ت.ف. أسرى عسكريين كانت اسرائيل تعجز عن العثور عليهم وتحريرهم. فيبدو أن الاسرائيليين يقبلون احياناً باسترجاع اسرى فقدوهم أثناء تأدية واجبهم العسكري من خلال التبادل، لكنهم يردون بالتصلب والهجوم المضاد طال ما كان بوسعهم حسم الموقف، مهما كانت النتائج بالنسبة الى الرهائن. ويضاف، أخيراً، أن حتى النجاح الآني في استرجاع الاسرى الفلسطينيين من الدول الغربية قابله خسارة إعلامية ملموسة لدى مواطني تلك الدول.

غير ان مجال العمل العسكري الفلسطيني الاهم، في هذا المجال، يبقى العمل ضد المجتمع الاسرائيلي نفسه، في داخل الارض المحتلة. وتظهر هنا الفروقات الجوهرية بين الحالة